

المواجهة بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية لمصالي الحاج

(1954 - 1962)

د. فتح الدين بن أزواو
جامعة محمد بوضياف - المسيلة / الجزائر

ملخص:

عالجنا في هذا المقال موقف الحركة المصالية من الثورة، حاولنا من خلاله كشف حوار هذه الحركة مع جبهة التحرير لحلحلة قضايا الخلاف الرئيسة، وتناولنا بالتفسير مساعي المصاليين للانتفاف على المبادرة الثورية لجبهة التحرير الوطني، من خلال نشاطهم الدبلوماسي في الخارج وعملهم المسلح الانفرادي في الداخل، وانصب جهدنا على ابراز تلك المواجهة المسلحة الشرسة التي اندلعت بين جيش التحرير الوطني والجماعات المسلحة المصالية، في الولايات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة، شرحنا أسبابها، ووقفنا عند أهم منعطفاتها، وحللنا نتائجها وتداعياتها على الثورة الجزائرية.

تعتبر القضية المصالية من أعقد القضايا التي واجهتها الثورة الجزائرية، ذلك أن المصاليين كانوا يشكلون جزءا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والسياسي للتيار الذي فجر الثورة قبل أن يختاروا العمل الانفرادي بعيدا عن وصاية جبهة التحرير الوطني - نتيجة أزمة عميقة للحركة الوطنية - فاصطدموا بها في نزاع مسلح، ما شكل تهديدا حقيقيا على قدرات الثورة العسكرية وحاضنتها الاجتماعية والسياسية. من هذا المنطلق فإن الموضوع يكتسي أهمية بالغة في كونه يعالج مشكلة من أخطر المشكلات التي حاقت بالثورة الجزائرية. فما هي خلفيات الصراع بين جبهة التحرير والحركة المصالية؟ وما هي مظاهره وتداعياته على الثورة الجزائرية؟

1 - أزمة حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية وتشكل الاتجاه المصالي :

تعرضت حركة الانتصار إلى أزمة خطيرة بين 1950 - 1954، كان من أسبابها الرئيسة اختلاف مناضلي الحركة في الأسلوب المتبع لإنهاء الوجود الاستعماري، فاصطدم جيلان: جيل قديم ألف الحياة السياسية، وجيل الثورة الذي يجذب الكفاح المسلح⁽¹⁾ مستلهما العظة من مجازر الثامن ماي 1945، وحسب المؤرخ الزبيري فإن نشاط جيل الثورة الذي أنشأ المنظمة الخاصة بات يقلق بعض القيادات داخل حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية التي لم تكن ترغب في قطع جميع العلاقات مع الإدارة الاستعمارية، وأضاف بأن هذا التراجع عن المبدأ أدى إلى زرع الشك في نفوس مناضلي حزب الشعب، خاصة بعد تفكك المنظمة الخاصة، لذلك سارعت جماعة من قدماء هذه المنظمة بتفجير ثورة الفاتح نوفمبر من خلال تأسيس جبهة التحرير الوطني⁽²⁾.

هذا الاختلاف في المنهج هو الذي أدى إلى حدوث الأزمة، خاصة بعد إكتشاف المنظمة الخاصة (1950)، ثم تعمقت بانعقاد مؤتمر الجزائر (أفريل 1953)، وهو المؤتمر الذي عقدته اللجنة المركزية للحزب، أبعدت فيه مصالي عن الرئاسة وأسقطت عضوية بعض الموالين له كأحمد مزغنة ومولاي مرباح، وأحدثت عوض ذلك قيادة جماعية للحزب⁽³⁾.

ويلاحظ على قرارات مؤتمر اللجنة المركزية أنها تعمدت إقصاء مصالي وأتباعه عن تولي المسؤوليات العليا في حركة الانتصار، لذلك بدأ هؤلاء - منذ هذا التاريخ - بحشد أنصارهم، إذ وجه مصالي نداء لقي استجابة واسعة في مختلف مناطق الجزائر، ثم دخل المصاليون في حرب المواقع ضد اللجنة المركزية للسيطرة على الحزب؛ حيث شكلوا لجنة الخلاص العام (فيلاي بودشيش، سعالي،

عوين)، وأنشأوا لجانا محلية، وأوقفوا تدفق الأموال إلى خزينة الحزب وأوجدوا هيئة أركان مصالية (مرباح، مزغنة، ممشاوي، عبدلي)⁽⁴⁾.

لقد استطاع المصاليون بهذا النشاط تلميع صورتهم؛ فانحازت قاعدة الحزب لمصالي وقطعت كثير من القسامات علاقتها باللجنة المركزية⁽⁵⁾. وتكريسا لهذا التفوق عقدوا مؤتمرا في مدينة هورنو البلجيكية (جويلية 1954) قرروا فيه تعيين مصالي الحاج رئيسا للحزب مدى الحياة⁽⁶⁾ وعزل ثمانية أعضاء من اللجنة المركزية (ابن خدة، لحول، كيوان، سيدي علي، بودة يزيد، لوانشي، فروخي) واستحدثوا عوض هذه اللجنة المجلس الوطني للثورة (يتكون من تجار صغار وفلاحين وعمال)، كما أوجدوا مكنبا سياسيا أعضاؤه مصاليون (مصالي، مزغنة، مرباح فيلالي، عبدلي، ممشاوي)⁽⁷⁾.

وبذلك كان مؤتمر هورنو مرحلة مهمة في تطور الاتجاه المصالي، فيه تبلوروا كتيار مستقل خاصة بعد المؤتمر الذي عقده المركزيون - شهرا بعد ذلك - قرروا من همته عزل مصالي ومزغنة ومرباح عن جميع المسؤوليات التي كانوا يتولونها في الحزب⁽⁸⁾. في الأخير نشير إلى أن المصاليين تخصصوا كذلك مع الجناح المؤسس للجنة الثورية للوحدة والعمل، بعد شعورهم بأن قادة هذه اللجنة يميلون إلى المركزيين ويعملون لحسابهم⁽⁹⁾.

2 - إنشاء المصاليين لمنظمة سياسية مستقلة (الحركة الوطنية الجزائرية) :

كانت قرارات مؤتمر هورنو أرضية للمنظمة السياسية التي أطلقها المصاليون تحت اسم " الحركة الوطنية الجزائرية " ، حتى إن بعض المؤرخين ذكروا بأن تاريخ تأسيسها كان على إثر انعقاد هذا المؤتمر⁽¹⁰⁾. وعلى ذكر تاريخ التأسيس، فإن الروايات لا تتفق على زمن معلوم فذهب محمد حربي وباتريك إفينو وجون بلونشي إلى القول بأن تاريخ ظهورها كان في ديسمبر 1954⁽¹¹⁾ وهذا ينطبق مع ما ورد في رسالة لأحمد مزغنة، مؤرخة سنة 1955، أشارت إلى أن مصالي أنشأ الحركة الوطنية الجزائرية في ديسمبر 1954⁽¹²⁾، غير أن بعض المؤرخين قدموا تواريخ أخرى مختلفة، منهم مثلا بنجامين ستورا الذي ذكر بأن مصالي الحاج منذ نهاية أكتوبر 1954 استغنى عن التسمية القديمة للمنظمة السياسية التي كان ينشط فيها لصالح تسمية جديدة هي " الحركة الوطنية الجزائرية " ⁽¹³⁾ لتمييزه عن خصومه المركزيين، في حين تحدث محمد تقية عن شهر نوفمبر 1954 كتاريخ أسس فيه المصاليون هذه الحركة⁽¹⁴⁾.

ويمكن أن نرجح رواية شهر ديسمبر (1954) كتاريخ تأسست فيه هذه المنظمة، بحكم أن وثائق الأرشيف الفرنسي أشارت إلى هذا التاريخ⁽¹⁵⁾، وبحكم كذلك أن الجزائر كانت تعيش في ديسمبر على وقع الثورة، وقد وجد المصاليون أنفسهم في هذه الفترة معزولين، وكان عليهم الرد بسرعة على المبادرة الثورية التي أطلقتها جبهة التحرير الوطني، وهو ما حتم عليهم تشكيل تنظيم سياسي مستقل يقوم مقام حركة الانتصار.

3 - موقف الحركة الوطنية الجزائرية لمصالي الحاج من الثورة في عامها الأول:

حاول المصاليون تجاهل مسؤولية جبهة التحرير الوطني في تفجير ثورة الفاتح نوفمبر خوفا من عزلة تفرض عليهم لذلك توخ تنظيمهم السياسي الجديد الدقة والحذر في التعبير عن مواقفهم فبعد مرور ثلاثة أشهر على اندلاع الثورة أصدرت الحركة الوطنية الجزائرية بيانا اعترفت فيه بواقع الثورة، إلا أنها لم تتخذ موقفا صريحا منها من حيث الإنظام أو المساندة واكتفت بالقول: " حوادث شبيهة بما وقع في تونس والمغرب وقعت في الجزائر ... ومن العبث تجاهل الأسباب العميقة التي تكمن من جهة في تجاهل الدوافع الحقيقية التي تقدم نفس القضية سواء في الجزائر أو في المغرب أو في تونس، وكذا تكمن في سياسة العنف والضغط والمصادمة بكل شراسة للطموحات الحقيقية لشعب شمال إفريقيا " ⁽¹⁶⁾. هذا الموقف هو نفسه تقريبا حمله تصريح مصالي الحاج لووكالة الأنباء الفرنسية (08 نوفمبر 1954) اعتبر فيه ما حدث ليلة الفاتح نوفمبر كنتيجة حتمية لسياسة فرنسية مطبقة منذ 1830، ودعا إلى إيجاد حلول تتماشى وطموحات الشعب الجزائري ، وطالب العمال الفرنسيين مساعدة إخوانهم الجزائريين الذين يعانون من القمع.⁽¹⁷⁾

في مرحلة ثانية حاولت الحركة الوطنية المصالية الاستحواذ على المبادرة الثورية لجبهة التحرير الوطني، وهو ما نلمحه من رسالة مصالي إلى مجلس وزراء سوريا، ذكر فيها بأن "هجوم اللجنة الثورية دام يوما واحدا، لكن المطرودين فشلوا في الاستحواذ على الحركة الوطنية الجزائرية، والتي كانت أسرع للعمل عندما أعطت الأوامر لمناضليها في 02 نوفمبر 1954 بدخول المعركة وفتح مرحلة الثورة دون تأخير وذلك بالعمل في الإقليم الأكثر تقدما وهو منطقة الأوراس".⁽¹⁸⁾

وتكريسا لهذا النهج قامت الحركة الوطنية بنشاط مكثف ودعاية واسعة في فرنسا للترويج لفكرة مفادها أن مصالي هو زعيم الثورة وبن لوئيس هو قائد قواتها⁽¹⁹⁾. وكان هذا ضمن إستراتيجية مصالية للحفاظ على ولاء القاعدة الشعبية للمهاجرين الجزائريين⁽²⁰⁾. وقد تعدى هذا العمل الدعائي فرنسا فشمل بعض العواصم العربية والأوروبية وحتى أروقة الأمم المتحدة، فقد أرسلت الحركة الوطنية

المصالية رسلا إلى القاهرة (أحمد مزغنة، الشاذلي المكي) وتونس (بلبقرة) وإسبانيا (العربي أولبصير)⁽²¹⁾ ونيويورك لدى مقر الهيئة الأممية (مولاي مرباح)⁽²²⁾ للإستدلال على أن الحركة المصالية هي صاحبة المبادرة الثورية⁽²³⁾ وتذكر المصادر بأن المصاليين استطاعوا بفضل ذلك النشاط وتلك الدعاية في الداخل والخارج أن يفهموا كثيرا من المناضلين على مستوى القاعدة بزعامة مصالي للثورة، وهي الفكرة التي بقيت تلقى رواجاً إلى غاية 1956⁽²⁴⁾.

وقد لجأت الحركة المصالية إلى إستراتيجية أخرى لاستراق المبادرة الثورية لجبهة التحرير الوطني، تمثلت في القيام بأعمال مسلحة وأنشطة ميدانية على الأرض؛ كتنصيفها شرطي جزائي محسوباً على السلطة الفرنسية في سكيكدة، وشنها حملة تآديبية ضد التجار الميزابيين بحجة أنهم لا يساعدون السكان ، ودعوتها لمقاطعة الكحول في العاصمة. وقد اعتبرت جبهة التحرير الوطني في هذه الأعمال مناورة للإلتفاف على الثورة ومحاوله لتخريبها من الداخل⁽²⁵⁾.

غير أن أهم موقف للمصاليين من الثورة في عامها الأول هو تشكيل قوة عسكرية، كانت بمثابة نواة للجيش الذي سيكون الذراع المسلح للحركة الوطنية الجزائرية. في هذا الإطار تشير المصادر إلى أن بدايات التفكير في هذه المسألة كان منذ أفريل 1955⁽²⁶⁾، لذلك ما إن حل شهر ماي 1955 حتى كلفت الحركة الوطنية الجزائرية العربي أولبصير بمهمة الانتقال إلى الريف المغربي لجمع الأسلحة⁽²⁷⁾، تبع ذلك مباشرة - في الشهر نفسه - تكوين أولى المجموعات المسلحة المصالية في منطقة القبائل، تركزت على الخصوص في منطقة قنزات⁽²⁸⁾، فاق عددها مئات الجنود⁽²⁹⁾، أسندت قيادتها إلى بن لوئيس⁽³⁰⁾.

وفي المناطق الأخرى، عدا القبائل، جمع المصاليون إلى غاية شهر جوان 1955 عشرين مسدسا وبنديقتين قصيرتين في تلمسان، وسبع بنادق حربية إيطالية في البيض، وثمانية مسدسات في وهران⁽³¹⁾، ومع نهاية سنة 1955 وضع المصاليون اللمسات الأخيرة على استعداداتهم؛ إذ تطلعنا أحد الوثائق الهامة⁽³²⁾ بأن محمد بن لوئيس الذي أسندت له قيادة الجيش المصالي كان بحوزته 600 جندي، و1200 بنديقية، و70000 رصاصة، كما تحدثت الوثيقة عن التوزيع الجغرافي لجنود الحركة المصالية في كل من البويرة ومايو وقنزات والأوراس⁽³³⁾.

وحسب محمد حربي فإن الحركة الوطنية فجرت العمل المسلح ضد الإستعمار ليلة 19 أكتوبر 1955، تلاها مباشرة عمليات التوقيف ضد عناصرها من طرف السلطات الفرنسية التي اعتقلت منهم تسعة وأربعين⁽³⁴⁾. غير أن هذه المبادرة سرعان ما تحولت ضد جبهة التحرير الوطني، عندما حاول المصاليون تفويض سلطتها وإخضاع مناضليها الذين حملوا السلاح والتحقوا بجيش التحرير الوطني في

المناطق التي كانت معارقلهم أيام أزمة حركة الانتصار في الجنوب ووهران والعاصمة والقبائل والبويرة وواد الصومام⁽³⁵⁾. وبذلك دخل المصاليون في العمل المسلح منفردين، بعد أن ألقوا أنفسهم مستقلين عن جبهة التحرير الوطني، أدى بهم في السنوات اللاحقة إلى الاصطدام بجيش التحرير بعد أن استنفذت كل المحاولات التوفيقية للإصلاح بين الطرفين.

3 - فشل المحاولات التوفيقية :

في ظل حالة التنافس والتنافر التي ميزت الخلاف بين حمة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية خلال السنة الأولى من الثورة، بذلت مساعي لرأب الصدع؛ فبعد مرور خمسة عشر يوم فقط على اندلاع الثورة التقى مبعوث مصالي الحاج (حاج علي أرزي) بكريم بلقاسم في منطقة القبائل للتفاوض حول مسألة زعامة مصالي للثورة⁽³⁶⁾ وقد طلب كريم في هذا اللقاء إعانة مالية فاستجاب حاج علي لذلك ووصلت كريم - عقب هذا اللقاء - مليوني فرنك على أن يتبنى الثورة باسم مصالي، لكن كريم بلقاسم ماطل ثم رفض حسم هذه المسألة⁽³⁷⁾ برر ذلك بأن المسألة سياسية تتجاوز حدود صلاحياته ، حيث قال في هذا الصدد بأنه "رجل عسكري لا سياسي"⁽³⁸⁾. هذا المسعى هو نفسه تقريبا قام به المصاليون عندما أرسلوا أحمد مزغنة إلى القاهرة لإقناع الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالإنضمام إلى الحركة الوطنية الجزائرية، لكن محاولتهم باءت بالفشل⁽³⁹⁾.

ويلاحظ عموما في السنة الأولى من الثورة ظهور عدة محاولات ومساعي لتقريب وجهات النظر لحل الخلاف بالطرق السياسية، فمثلا في جانفي (1955) أجريت ثلاثة اتصالات بين كريم بلقاسم ومسؤولين عن الحركة الوطنية الجزائرية (أولبصير، زيتوني مختار) إلا أنها لم تثمر اتفاقا، بسبب تمسك كل طرف بمواقفه حول مسألة " زعامة مصالي للثورة من عدما " فقد أصر كريم بلقاسم على إنظام غير مشروط لمصالي للثورة ، في حين رفض المصاليون هذا المقترح⁽⁴⁰⁾.

وكان أهم اتفاق سجل سنة 1955 ذلك الذي تم بالقاهرة بوساطة مصرية ممثلة في شخصية فتحي الديب (قائد المخابرات المصرية)، أدى إلى تأسيس تنظيم جديد موحد أطلق عليه "جبهة التحرير الجزائرية"، ضمت كل الهيئات الجزائرية الممثلة في القاهرة (فيفري 1955)⁽⁴¹⁾. وقد كانت المفاوضات عسيرة قبل التوصل إلى هذا العقد السياسي، فقد عارض ممثل الوفد المصالي (أحمد مزغنة) أي اتفاق مع قيادة الوفد الخارجي للجبهة (أيت أحمد، خيضر، بوضيف) لولا تدخل فتحي الديب الذي جعله في النهاية يوافق شريطة أن ينظم إلى هذه الهيئة الجديدة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽⁴²⁾.

لكن هذه الوحدة سرعان ما تلاشت (أفريل 1955)، وقد حمل مصالي جبهة التحرير مسؤولية هذا الفشل، اتهمها بتدبير مؤامرة بالتنسيق مع المخابرات المصرية لإحماض هذا التكتل (43). وحسب محمد حربي فإن انهيار هذه الوحدة كان بسبب سياسة الشد والجذب التي كان يتبناها كل طرف سعيا منه لاحتواء الطرف الآخر، فذكر بأن أحمد مزغنة سعى من هذا الاتفاق تكوين جبهة موحدة تراقب قوات المقاومة، وسعت جبهة التحرير إلى التحاق المصاليين بصوفها(44). ورغم تكرر اللقاءات بين المصاليين وقيادة جبهة التحرير الوطني عام 1955(45) فإنها فشلت بسبب بقاء مسائل الخلاف هي نفسها كما كانت في اللقاءات السابقة، خاصة فيما تعلق بمسألة زعامة الثورة.

4 - المواجهة المسلحة :

بعد نفاذ الجهود التوفيقية بقي المصاليون متشبثين بالعمل المسلح الانفرادي رافضين رفضا مطلقا العمل تحت لواء جبهة التحرير الوطني، تعدى إلى محاولة فرض تواجدهم في المناطق التي كانت خاضعة لجيش التحرير، دفع بقيادة الثورة في الولاية الثالثة إصدار الأوامر (جوان 1955) للبدء في تصفية العناصر المصالية التي كان يقودها بن لويس في منطقة القبائل(46).

في هذا الاطار استدعى كريم بلقاسم ديهلس سليمان وكلفه بالهجوم على المجموعات المسلحة المصالية التي كانت تنتقل بين البويرة والواسيف، وقد اقتفى جيش التحرير أثرها في منطقة بوعودو(47) وفتك بأغلب عناصرها، لكن قائدها المدعو "رايح" استطاع الفرار إلى الجنوب(48). بعدها أسندت المهمة لعميروش لاستئصال الجماعات المسلحة المصالية الضخمة المتمركزة بمنطقة قزات، وقد كانت جبهة التحرير على وعي وإدراك بخطورتها وقوتها، مادفع القائد عميروش تجهيز كتيبة قوامها ثمانمائة جندي لمواجهةها، فاخترقها وشتتها، وفر على إثرها بن لويس (قائد الجيش المصالي) إلى الجنوب ملتحقا برايح هناك(49). وما إن حلت سنة 1956 حتى غدت الولاية الثالثة ميدانا لمواجهات ضارية بين المصاليين وجيش التحرير في كل من البويرة وذراع الميزان والقرقور(50)، كان أعنفها اشتباكات زمورة(51) (23 جانفي 1956)، التي قادها عن جيش التحرير الوطني عبد الرحمان وأميرة وسي محمد بوقرة، انتهت بمقتل سبعين مصاليا واستشهاد جندي من أفراد جيش التحرير(52).

وقد انتقلت عدوى هذه المواجهات إلى الولاية الرابعة - منذ سبتمبر 1955 - عندما أعطت جبهة التحرير الأوامر لمناضليها باستئصال القيادات المصالية المتمركزة في العاصمة(53)، فتم على إثرها اغتيال المناضلين القدامى للحركة المصالية (أوائل سنة 1956) كجوجريدة عمار وسي أحمد ومادي محمد(54)، وقد رد المصاليون بذبح أربعة جنود. وسرعان ما تحولت هذه الاغتيالات والعمليات

الانتقامية إلى مواجهات مفتوحة بين الطرفين؛ كاشتباك سيدي راجح الذي أسفر عن مقتل ثمانية عشر جنديا مصاليا وأسر قائد القوات المصالية المدعو "عمر" (55)، ومواجهة دوار تالوين التي أباد فيها جيش التحرير معظم عناصر المجموعة المسلحة المصالية المتمركزة في هذا الدوار توج ذلك كله بفرض جبهة التحرير الوطني سيطرتها على المنطقتين (56) ومناطق أخرى بالولاية الرابعة.

ورغم هذه الانتصارات فإن جيش التحرير الوطني لم يسلم من مباغيات المصاليين، فحسب المجاهد سي لخصر بورقعة، الذي تولى مسؤوليات عليا في الولاية الرابعة، فإن المصاليين غدروا بخمسة وثلاثين جنديا من جنود جيش التحرير (خريف 1956) أرسلتهم الجبهة للتفاوض (57). وتشير المصادر إلى أن الولاية الرابعة كانت تعتبر المنطقة الأكثر صعوبة لجيش التحرير الوطني في صراعه ضد الحركة المصالية، خاصة في العاصمة وعين الدفلة ووادي الشلف ومتيجة، وهي المناطق التي شهدت معارك شرسة بين الطرفين (58)؛ فمثلا في عين الدفلة اندلعت مواجهة مباشرة (16 أبريل 1958) بين جيش التحرير وحوالي خمسمائة من المصاليين الملتفين حول قائدهم "كوبيس"، أسفرت عن مقتله ومقتل عشرات من مناصريه (59).

ولم تكن الولاية الخامسة بمعزل عن هذا الصراع - الذي شهد ذروته سنة 1956 - وما يلاحظ عليه عموما تمكن جبهة التحرير الوطني من القضاء على البؤر المصالية في مناطق الحدود مع المغرب الأقصى بعد أن قامت بتصفية إطارات الحركة هناك (عباد، العربي أولبصير، وشخصيات أخرى) (60).

وغير بعيد عن الولاية الخامسة، كانت الولاية السادسة قد تحولت هي الأخرى إلى ميدان لهذا النزاع، بسبب موقعها الإستراتيجي الذي كان يمثل همزة وصل بين الولايات، خاصة بعد فرار قائد الجيش المصالي (بن لونيس) إلى الجلفة وإقامته - منذ أبريل 1957 - لمركز قيادة رئيسي بها (دار الشيوخ) (61)، وكذلك اتخاذه من بعض المناطق الإستراتيجية، كمنطقة ملوزة بالمسيلة، نقطة لتوجيه ضربات قوية ضد جيش التحرير، فزادت بذلك أهمية هذه الولاية لكلا الطرفين المتصارعين، ولعل هذا ما يفسر وقوع مجزرة ملوزة، التي صنفت من أهم المجازر الدموية في تاريخ الثورة الجزائرية.

وبذلك فقد أصبح ميزان القوة في هذه المنطقة الهامة لصالح المصاليين، دفع بجبهة التحرير التفكير في قلب هذا الميزان، عن طريق القيام بهجوم شامل على ملوزة لإخضاعها وتطهيرها من كل العناصر المصالية، وقد كان هذا محل القرار الذي اتخذه محمدي السعيد (قائد الولاية الثالثة) وفضده النقيب أعراب في 28 ماي 1957 بالتنسيق مع عبد القادر سحنون مسؤول جبهة التحرير الوطني

عن منطقة ملوزة⁽⁶²⁾. وقد كانت الحصيلة البشرية لهذا الهجوم ثقيلة، بلغت ثلاثمائة وواحد قتيل ما بين مصاليين ومدنيين عزل⁽⁶³⁾.

استغل بعد ذلك بن لوئيس هذه الحادثة لحشد مؤيديه، ثم أعلن تعاونه العلني والمباشر مع الاستعمار للقضاء على جبهة التحرير الوطني، فقد صرح في هذا الشأن: " بعد ملوزة رضيت أنا وجماعتي بالإنظام إلى فرنسا شريطة عدم تفاوضها مع جبهة التحرير أو الشيوعيين "⁽⁶⁴⁾.

وقد أسفرت الاتصالات الفرنسية مع بن لوئيس عن اتفاق إطار وضع الخطوط العريضة والمبادئ العامة للتعاون المستقبلي بين الطرفين، وقد تطرق تقرير الولاية السادسة بالتفصيل لهذه المبادئ، حصرها في محاربة جبهة التحرير الوطني وكشف خلاياها وطرق تمويلها ووضع وحدات كومندوس فرنسية خاصة في حالة استعداد دائم للتدخل عسكريا إلى جانب بن لوئيس وإنشاء شبكة مخبرات تتولى جمع المعلومات عن نشاط جيش التحرير الوطني في المدن والأرياف⁽⁶⁵⁾.

لقد تمكن بن لوئيس - بعد هذا الاتفاق - من رفع قدراته القتالية، حتى بلغت 12000 جندي ومتعاون⁽⁶⁶⁾، و 2000 قطعة حربية حصل على بعضها من الجيش الفرنسي⁽⁶⁷⁾. فبات يشكل تهديدا على التواجد العسكري للثورة في الولاية السادسة، دفع جيش التحرير بدعم قواته في هذه الولاية بكنتيين من الولاية الخامسة، استعدادا للمواجهات التي خاضها ضد المصاليين في جبال مناعة وبوكحيل، وسنيسة، وقرون الكبش، وكحيل، وبوديرين، والمقسم⁽⁶⁸⁾.

وبالرغم من أن جيش التحرير حقق نجاحات لافتة في تلك المواجهات واستطاع تطهير بعض المناطق من المصاليين، إلا أنه تكبد خسائر بشرية جسيمة، إذ تحدث المشاركون في الاجتماع التقييمي لعملية " أوليفي " ، وهي التسمية التي أطلقها الفرنسيون على الاتفاق الذي أبرمه مع بن لوئيس، بأن قوات هذا الأخير قتلت مائة وستين جنديا من جنود جيش التحرير وجرحت ستين واعتقلت خمسة عشر إلى غاية 04 سبتمبر 1957⁽⁶⁹⁾.

هذا ما جعل السلطات الفرنسية تطمئن لنوايا بن لوئيس، فدعمته في ديسمبر 1957 بالأسلحة والسيارات والألبسة⁽⁷⁰⁾، مكنته هذه الإمكانيات من الانخراط في عمليات عسكرية واسعة ضد جيش التحرير (سنة 1958) في مناطق مختلفة بالولاية السادسة، كان أهمها اشتباكات جبل عمور⁽⁷¹⁾. غير أن حكومة باريس بدأت تشكك في صدق نوايا بن لوئيس، بعد أن حصلت على معلومات استخبارية مفادها أنه كان يعمل على توسيع مجال نشاطه الجغرافي وبسط نفوذه مكان نفوذ

جبهة التحرير الوطني، بل كشفت هذه المعلومات محاولة الرجل التخلص من الوصاية الفرنسية. وقد اعترف " بارلوج " الذي كان مكلفا من طرف " لأكوست " بتتبع أطوار هذه القضية، بأن بن لوئيس كان يريد تطبيق مجازة الإداري والسياسي السري والقضاء على الوجود الفرنسي بالمنطقة، وقد اعترف " بارلوج " بصعوبة القضاء عليه، لذلك طلب بشكل عاجل إلغاء عملية " أوليفي " ، التي غدت قضية معروفة على المستوى العالمي⁽⁷²⁾.

واستنادا على تلك المعطيات، وضعت السلطات الفرنسية - منذ ماي 1958 - نصب عينها مهمة القضاء على بن لوئيس، فألغت مساعداتها نحوه، وفي جويلية 1958 قامت قواتها المضلية بتصفيته⁽⁷³⁾. ومقتل بن لوئيس اختفى الجيش الوطني للشعب الجزائري، الذراع المسلح للحركة المصالية، وتشتت أفرادها، منهم من انخرط في جيش التحرير الوطني، ومنهم من انضم إلى الجيش الفرنسي، ومنهم من فر إلى الجبال مع بعض أعوان بن لوئيس القدامى؛ كسي مفتاح ومحمد العلمي⁽⁷⁴⁾. ورغم هذا الانهيار، بقيت بعض الفلول المصالية تناوش جيش التحرير في مناطق متفرقة بالولايتين الرابعة والسادسة، خاصة في جبل بوكحيل (جنوب شرق الجلفة)، وأولاد جلال (غرب بسكرة)⁽⁷⁵⁾، وبومادحي (بوسعادة)⁽⁷⁶⁾، لكن سرعان ما حسم جيش التحرير الموقف لصالحه في هذه المناطق، وما أن حلت سنة 1962 حتى تمكن من اجتثاث المجموعات المسلحة المصالية في معاقها الرئيسية وفي غالبية المدن والقرى الجزائرية⁽⁷⁷⁾.

خاتمة :

كشفت لنا هذا البحث بأن خلفيات الصراع بين جبهة التحرير الوطني والحركة المصالية تعود إلى فترة ما قبل الثورة، وهي الفترة التي اختلف فيها زعماء التيار الثوري حول منهج النضال ضد الاستعمار؛ بين فريق محافظ يرغب في مواصلة العمل السياسي، وجناح يطمح للكفاح المسلح. وكان اكتشاف المنظمة السرية (1950) سببا في تعمق الخلاف، وصل إلى درجة الأزمة (1953 - 1954) بسبب بروز عوامل أخرى أكثر خطورة؛ كالصراع على السلطة ، وشخصية مصالي الحاج التي أصبحت في هذه الفترة تميل إلى الزعامة والعمل الشعبي دون مراعاة القواعد الديمقراطية التي تسيّر الحزب.

هذا يجعلنا نستنتج بأن جوهر الصراع لم يكن إيديولوجيا بحكم أن الجميع كان يطالب بالاستقلال قبل 1954، وإنما كان لأسباب منهجية وتنظيمية تتعلق بالتسيير والعمل لتحقيق هذا الاستقلال، وكذلك لأسباب شخصية متعلقة بالمصاليين، بسبب عدم قدرتهم على التحرر من عقدة

الأبوة التي فرضها مصالي على مدى حقبة طويلة من النضال السياسي، ولعل هذا ما يفسر رفض الحركة المصالية الانضمام للمبادرة الثورية النوفمبرية ودخولها بعد ذلك في مواجهة التنظيم السياسي والعسكري لجبهة التحرير الوطني.

حمل هذا الصراع مظاهر مختلفة؛ سياسية ودعائية وعسكرية، حاول فيها كل طرف تكريس كيانه السياسي وفرض نفوذه العسكري، من خلال النشاط السياسي لكل تنظيم في الداخل والجهد الدبلوماسي في الخارج، ومن خلال عمل الوحدات العسكرية التي خاضت معارك ضارية للقضاء على الخصم والسيطرة على الأرض.

ولقد أدت هذه المواجهة إلى حدوث شرح سياسي واجتماعي، استفاد منه الاستعمار في تجسيد سياسة فرق تسد (عملية أوليفي)، كما أدت إلى إضعاف قدرات الثورة، خاصة في الولايات التي كانت معاقل للمصاليين (الثالثة والرابعة والسادسة)، وهي المناطق التي شهدت مواجهات مسلحة شرسة، لم يتمكن فيها جيش التحرير الوطني من القضاء على الحركة المصالية إلا بعد جهود مضنية، أنهكت قواه العسكرية والمادية والبشرية.

الهوامش :

- (1)- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1984، ص56.
- (2)- نفسه، ص ص 79-82.
- (3)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954، الجزء 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص376.
- (4)- محمد حرزي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م، ط01، بيروت، 1983، ص82.
- (5)- الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954 : الطريق الإصلاحى والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص ص 112-113.
- (6)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 414.
- (7)- محمد حرزي، المصدر السابق، ص ص 100-199.
- (8)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 420.
- (9)- للاطلاع على صراع المصاليين ضد الثوريين أنظر: محمد حرزي، المصدر السابق، ص ص 88-93.
- (10)- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 195.
- (11)- محمد حرزي، المصدر السابق، ص 129. كذلك أنظر :

Patrique Eveno et Gean Planchais, La Guerre d'Algerie Dossier et Temoignages, éditions la Découverte et Journal le Monde, Paris, 1989, P24.

(12)- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, Les éditions Jeune Afrique, Paris, 1981, P116.

(13)- Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974), Pionner du Nationalisme Algérien , éditions Rahma, Alger, 1991, P225.

(14)- Mohamed Teguaia, l'Algérie en Guerre, Office des Publications Universitaires, Alger, P172- 173.

- (15)-Les Origines des Mouvements Rebelles, Centre d'Archives Diplomatique (Paris), Boite N°07.
- (16)- Benjamin Stora, op.cit, P230.
- (17)- حزب الشعب الجزائري، جريدة صرخة الشعب الجزائري، الجزائر، فيفري- مارس 1991، ص ص 4-5.
- (18)- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, , op.cit, P134.
- (19)- محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 198.
- (20)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 135.
- (21)- Sliman Chikh, l'Algérie en Armes ou Le Temps des Certitudes 1954 -1962, Office de Publications Universitaires, Alger, 1981, P294.
- (22)- Notice d'Information, Mémoire Rédigé par M.N.A. a l'Intention de l'O.N.U , Centre d'Archives Diplomatique (Paris) , Afrique Levant (1953- 1959),Boite N°33.
- (23)- Sliman Chikh, op.cit, P294.
- (24)- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 498.
- (25)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 129.
- (26)- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المحاض، ترجمة نجيب عباد المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 45.
- (27)- محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 201.
- (28)- قرية صغيرة تابعة إداريا لسطيف، تبعد عن دائرة بوقاعة بنحو 45 كلم.
- (29)- Benjamin Stora, L' Affrontement entre le FLN et le MNA de Messali Hadj (1954- 1955), Premier Partie , Etude Non Publié.
- (30)- Claude Paiallat, Deuxieme Dossier Secrit de l' Algérie, Les Presses de La Cité, Paris, 1962, p441-442.

- (31)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص132.
- (32)- عبارة عن رسالة لأحد القياديين المصاليين مجزت من طرف السلطات الاستعمارية ، تحدثت عن الترتيبات الأخيرة للحركة المصالية لبدء العمل المسلح ، وقد نشر حربي نصها كاملا. أنظر :
- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, op.cit, P121- 122.
- (33)- Ibid.
- (34)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 132.
- (35)- Michel Roux, Les Harkis ou Les Oublies de l'Histoire, 1954- 1991, éditions La Découverte, Paris, 1991, P90-91.
- (36)- Benjamin Stora, l'Affrontement entre le FLN et le MNA, op.cit, P32.
- (37)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 130.
- (38)- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المحاض، المصدر السابق، ص 144.
- (39)- المصدر نفسه.
- (40)- Benjamin Stora, l'Affrontement entre le FLN et le MNA, op.cit, P33.
- (41)- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, op.cit, P135.
- (42)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 130.
- (43)- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, op.cit, P135.
- (44)- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المحاض، المصدر السابق، ص 45.
- (45)- عبد الكريم بوصفصاف، "من هو الخائن بن لوئيس ولأي حزب ينتمي"، جريدة النصر، قسنطينة، عدد 6153 (3- 4 سبتمبر 1993)، ص 10.
- Benjamin Stora, l'Affrontement entre le FLN et le MNA, op.cit, P 39- 40. (46) : كذلك - محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 202.
- (47)- قرية صغيرة تبعد عن تيزي وزو بنحو 15 كلم.

- (48)- Yves Courrière, La Guerre d'Algérie, Le Temps des l'Éopars, éditions Rahma, Alger, sd , P165- 166.
- (49)- Ibid, P 166- 167.
- (50)- Pierre Mantagnon, La Guerre d'Algérie Genèse et Engrenage d'une Tragédie, 1 novembre 1954- 03 juillet 1962, éditions Pygmalion Gérard Watelet, Paris,1984, P282.
- (51)- قرية كبيرة تبعد عن سطيف بنحو 60 كلم وعن برج بوعريش بـ 30 كلم.
- (52)- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 10.
- (53)- محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 148.
- (54)- Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974), op.cit, P 262.
- (55)- أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954- 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 276.
- (56)- مجلة أول نوفمبر، الصادرة بالجزائر، عدد62، 1983، ص 09.
- (57)- سي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، ط01، الجزائر، 1990، ص 73- 74.
- (58)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 133.
- (59)- سي لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص 76.
- (60)- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 132- 133.
- (61)- Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974), op.cit, P 267.
- (62)- Yves Courrière, La Guerre d'Algérie(1954- 1962),l'Heure des Colonels , Les Feux du Désespoirs, tom2, éditions Robert Lafont, sd, Paris, P46.
- (63)- Henri Lemire, Histoire Militaire de La Guerre d'Algérie, éditions Albin Michel, Paris, 1982, P 175.

(64)- Ibid.

(65)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954 للولاية السادسة، بسكرة، (5-6 فيفري 1985).

(66)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، دور الولاية السادسة في التصدي للحركات المناوئة، الجلفة، جوان 1995 ص 21.

(67)- Claude Paiallat, op.cit, P 447.

(68)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، دور الولاية السادسة في التصدي للحركات المناوئة، المرجع السابق ص 22-23.

(69)- Claude Paiallat, op.cit, P 446.

(70)- Ibid, P452.

(71)- Ibid.

(72)- Ibid, P453.

(73)- Ibid, P457.

(74)- Pierre Mantagnon , op.cit, P 244.

(75)- Mohamed Tegua, op.cit, P178.

(76)- Ibid.

(77)- Mohamed Harbi, Les Archives de la Révolution Algérienne, op.cit, P377.

المصادر والمراجع باللغة العربية :

(1)- ابن العتوم بن إبراهيم (عبد الرحمن) ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954، الجزء 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

(2)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954 للولاية السادسة، بسكرة، (5-6 فيفري 1985).

- (3)- المنظمة الوطنية للمجاهدين، دور الولاية السادسة في التصدي للحركات المناوئة، الجلفة، جوان 1995.
- (4)- الزبيري (محمد العربي)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1984.
- (5)- بورقعة (سي لخضر)، شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، ط01، الجزائر، 1990.
- (6)- بومالي (أحسن)، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- (7)- حربي (محمد)، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م، ط01، بيروت، 1983.
- (8)- حربي (محمد)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عباد المتلوئي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.
- (9)- صاري الجيلالي و قداش محفوظ، المقاومة السياسية 1900-1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

- الجرائد والمجلات :

- (1)- أول نوفمبر، الصادرة بالجزائر، عدد62، 1983.
- (2)- النصر، الصادرة بقسنطينة عدد 6153 (3-4 سبتمبر 1993).
- (3)- صرخة الشعب الجزائري، الصادرة بالجزائر، فيفري-ماي 1991.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية :

- (1)- Chikh (Sliman), l'Algérie en Armes ou Le Temps des Certitudes 1954 -1962, Office de Publications Universitaires, Alger, 1981.
- (2)- Courrière (Yves), La Guerre d'Algérie, Le Temps des l'Eopars, éditions Rahma, Alger, sd .
- (3)- Courière (Yves), La Guerre d'Algérie(1954- 1962),l'Heure des Colonels , Les Feux du Disespoire, tom2, éditions Robert Lafont, sd, Paris.

- (4)- Eveno (Patrique) et Planchais (Gean), La Guerre d'Algérie Dossier et Temoignages, éditions la Découverte et Journal le Monde, Paris, 1989.
- (5)- Harbi (Mohamed), Les Archives de la Révolution Algérienne, Les éditions Jeune Afrique, Paris, 1981.
- (6)- Lemire (Henri), Histoire Militaire de La Guerre d'Algérie, éditions Albin Michel, Paris, 1982.
- (7)- Les Origines des Mouvements Rebelles, Centre d'Archives Diplomatiques (Paris), Boite N°07.
- (8)- Mantagnon (Pierre), La Guerre d'Algérie Genèse et Engrenage d'une Tragédie, 1 novembre 1954- 03 juillet 1962, éditions Pygmalion Gérard Watelet, Paris, 1984.
- (9)- Notice d'Information, Mémoire Rédigé par M.N.A. a l'Intention de l'O.N.U , Centre d'Archives Diplomatiques (Paris) , Afrique Levant (1953- 1959), Boite N°33.
- (10)- Paillat (Claude), Deuxième Dossier sécrit de l'Algérie, Les Presses de La Cité, Paris, 1962.
- (11)- Roux (Michel), Les Harkis ou Les Oublies de l'Histoire, 1954- 1991, éditions La Découverte, Paris, 1991.
- (12)- Stora (Benjamin), l'Affrontement entre le FLN et le MNA de Messali Hadj (1954- 1955), Premier Partie , Etude Non Publié.
- (13)- Stora (Benjamin), Messali Hadj (1898-1974), Pionner du Nationalisme Algérien , éditions Rahma, Alger, 1991.
- (14)- Tegua (Mohamed), l'Algérie en Guerre, Office des Publications Universitaires, Alger, sd.